

تفسير البحر المحيط

@ 95 @ .

والرفع على العطف على تقاتلونهم ، أو على القطع ، أي أو هم يسلمون دون قتال . { فَاِنْ
تَطِيعُوا } : أي فيما تدعون إليه . { كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ } : أي في زمان
الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم) ، في زمان الحديبية . { يُعَذِّبُكُمْ } : يحتمل أن
يكون في الدنيا ، وأن يكون في الآخرة . { لَّيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ } : نفي الحرج
عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ، ومع ارتفاع الحرج ، فجائز لهم الغزو ،
وأجرهم فيه مضاعف ، والأعرج أحرى بالصبر وأن لا يفر . وقد غزا ابن أم مكتوم ، وكان أعمى
، في بعض حروب القادسية ، وكان رضي الله عنه يمسك الراية ، فلو حضر المسلمون ، فالغرض
متوجه بحسب الوسع في الغزو . وقرأ الجمهور : يدخله ويعذبه ، بالياء ؛ والحسن ، وقيادة
، وأبو جعفر ، والأعرج ، وشيبة ، وابن عامر ، ونافع : بالنون ، قوله عز وجل :
{ لَّيْسَ عَلَى رَضِيَ اللَّهِ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } . .

لما ذكر تعالى حال من تخلف عن السفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ذكر حال المؤمنين
الخلص الذين سافروا معه . والآية دالة على رضا الله تعالى عنهم ، ولذا سميت : بيعة
الرضوان ؛ وكانوا فيما روي ألفاً وخمسمائة وعشرين . وقال ابن أبي أوفى : وثلاثمائة . .
وأصل هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم) حين نزل الحديبية ، بعث جواس بن أمية
الخراعي رسولاً إلى أهل مكة ، وحمله على جمل له يقال له : الثعلب ، يعلمهم أنه جاء
معتمراً ، لا يريد قتالاً . فلما أتاهاهم وكلمهم ، عقروا جملة وأرادوا قتله ، فمنعته
الأحابيش ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فأراد بعث عمر . فقال : قد علمت فظاطتي ،
وهم يبغضوني ، وليس هناك من بني عدي من يحميني ، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني وأحب
إليهم ، عثمان بن عفان . فبعثه ، فأخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا
البيت ، معظماً لحرمة . وكان أبان بن سعيد بن العاصي حين لقيه ، نزل عن دابته وحمله
عليها وأجاره ، فقالت له قريش : إن شئت فطف بالبيت ، وأما دخولكم علينا فلا سبيل إليه .
فقال : ما كنت لأطوف به حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم) . .
وكانت الحديبية من مكة على عشرة أميال ، فصرخ صارخ من العسكر : قتل عثمان ، فحمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون وقالوا : لا نبرح إن كان هذا حتى نلقى القوم .

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم) : البيعة البيعة ، فنزل روح القدس ، فبايعوا كلهم إلا الجد بن قيس المنافق . وقال الشعبي : أول من بايع أبو سنان بن وهب الأسدي ، والعامل في إذ رضي . والرضا على هذا بمعنى إظهار النعم عليهم ، فهو صفة فعل ، لا صفة ذات لتقييده بالزمان وتحت ، يحتمل أن يكون معمولاً ليبايعونك ، أو حالاً من المفعول ، لأنه صلى الله عليه وسلم) كان تحتها جالساً في أصلها . قال عبد الله بن المغفل : وكنت قائماً على رأسه ، وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه ، فرفعت الغصن عن ظهره . بايعوه على الموت دونه ، وعلى أن لا يفروا ، فقال لهم : (أنتم اليوم خير أهل الأرض) . وكانت الشجرة سمرة .